

تفسير ابن كثير

وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضَ لِّبَعْضِهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ ^ج إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ

وقوله : (وفي الأرض قطع متجاورات) أي : أراض تجاور بعضها بعضا ، مع أن هذه

طيبة تثبت ما ينتفع به الناس ، وهذه سبخة مالحة لا تثبت شيئا . هكذا روي عن ابن عباس

، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وغيرهم . وكذا يدخل في هذه الآية اختلاف

ألوان بقاع الأرض ، فهذه تربة حمراء ، وهذه بيضاء ، وهذه صفراء ، وهذه سوداء ،

وهذه محجرة وهذه سهلة ، وهذه مرملة ، وهذه سميكة ، وهذه رقيقة ، والكل متجاورات

. فهذه بصفتها ، وهذه بصفتها الأخرى ، فهذا كله مما يدل على الفاعل المختار ، لا إله

إلا هو ، ولا رب سواه . وقوله : (وجنات من أعناب وزرع ونخيل) يحتمل أن تكون

عاطفة على (جنات) فيكون (وزرع ونخيل) مرفوعين . ويحتمل أن يكون معطوفا

على أعناب ، فيكون مجرورا؛ ولهذا قرأ بكل منهما طائفة من الأئمة . وقوله : (صنوان

وغير صنوان) الصنوان : هي الأصول المجتمعة في منبت واحد ، كالرمان والتين وبعض

النخيل ، ونحو ذلك . وغير الصنوان : ما كان على أصل واحد ، كسائر الأشجار ، ومنه سمي عم الرجل صنو أبيه ، كما جاء في الحديث الصحيح : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال لعمر : " أما شعرت أن عم الرجل صنو أبيه ؟ " . وقال سفيان الثوري ، وشعبة ، عن أبي إسحاق ، عن البراء ، رضي الله عنه : الصنوان : هي النخلات في أصل واحد ، وغير الصنوان : المتفرقات . وقاله ابن عباس ، ومجاهد ، والضحاك ، وقتادة ، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم . وقوله : (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل) قال الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، رضي الله عنه ، عن النبي ، صلى الله عليه وسلم : (ونفضل بعضها على بعض في الأكل) قال : " الدقل والفارسي ، والحلو والحامض " . رواه الترمذي وقال : حسن غريب . أي : هذا الاختلاف في أجناس الثمرات والزرع ، في أشكالها وألوانها ، وطعومها وروائحها ، وأوراقها وأزهارها . فهذا في غاية الحلاوة وذا في غاية الحموضة ، وذا في غاية المرارة وذا عفص ، وهذا عذب وهذا جمع هذا وهذا ، ثم يستحيل إلى طعم آخر بإذن الله تعالى . وهذا أصفر وهذا أحمر ، وهذا أبيض وهذا أسود وهذا أزرق . وكذلك الزهورات مع أن كلها يستمد من طبيعة

واحدة ، وهو الماء ، مع هذا الاختلاف الكبير الذي لا ينحصر ولا ينضبط ، ففي ذلك آيات لمن كان واعيا ، وهذا من أعظم الدلالات على الفاعل المختار ، الذي بقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد؛ ولهذا قال تعالى : (إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون)